

## الحياء

الحياء خلق قرآني تخلق رسول الله ﷺ به، فقد كان ﷺ أشد الناس حياءً، وأكثرهم إغضاءً.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه »<sup>(١)</sup>  
إن الحياء خلقٌ يبعث على ترك القبح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق كما قال العلماء ومن هذا التحديد لحقيقة الحياء نستطيع أن ندرك ما كان من الحياء وما ليس منه.

إن أعلا أنواع الحياء وأعظمها شأنًا أن تستحي من ربك في السر والعلن وأنت تعلم أنه ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾<sup>(٢)</sup>  
والاستحياء من الله « أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيًا من الله حق الحياء »<sup>(٣)</sup> كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

قال بعض العلماء: « إن الحياء الممدوح في كلام النبي ﷺ إنما يريد به الخلق الذي يحث على فعل الجميل وترك القبيح، فأما الضعف والعجز الذي يوجب

(١) متفق عليه.

(٢) غافر : ١٩ .

(٣) رواه الترمذي.

التقصير في شئ من حقوق الله أو حقوق عباده فليس من الحياء، وإنما هو ضَعْفٌ وَخَوْرٌ وعجزٌ ومهانة».

ومن هذا نستطيع أن ندرك معنى قول رسول الله ﷺ: « الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ »<sup>(١)</sup>

### والحياء نوعان:

أحدهما: ما كان جِبِلَّةً غير مكتسب، وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبدَ وَيَجِبُله عليها، ولهذا قال ﷺ: « الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ »؛ فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار. وهذا الحياء لا بُدَّ أن يُوصَلَ صاحبه إلى الخير كما قال بعضُ أهل الحياء: « رأيتُ المعاصيَ تَذَالَّةً، فتركتُها مروءة، فاستحالت ديانة ».

النوع الثاني: ما كان مكتسباً من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربة من عباده وإطلاعه عليهم وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور فهذا من أعلا خصال الإيمان، بل هو من أعلا درجات الإحسان. والحياء المكتسب من معرفة الله ومعرفة حدوده يمكن الإنسان من القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على صورة يحسنُ بها الاقتداءُ برسول الله ﷺ الذي تقول عنه عائشة - رضي الله عنها - : « كان النبي ﷺ إِذَا بَلَغَهُ عَن الرَّجُلِ الشَّيْءَ، لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا »<sup>(٢)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود.

### أخي القارئ:

إن الحياة ترتبط بواجبات، والواجبات ترتبط بالوقت الذي هو أثمن وأعلى شئ في الحياة « وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » (١)

وواجبات الناس في الحياة تختلف باختلاف المسؤولية الملقاة على عاتقهم. وما أكثر ما ترى الناس يَسْوُونَ ما على غيرهم من واجبات فيؤذونهم بكثرة التردد عليهم أو طول المكث عندهم. وقد يمنع الحياء الفطري من مجاهرة هؤلاء أو مصارحتهم. فمن الواجب أن يُرَبَّى الجميع تربية قرآنية وأن يتعودوا في سلوكهم على أن يكونوا حيث يحبُّ الله ورسوله ويرضى.

وتعالوا بنا نرى موقف القرآن وهو يحدد للمؤمنين السلوك في دخول بيوت النبي ﷺ أو الانتظار فيها، ومنه نأخذ الأدب العام الذي يجب أن يتوافر بين الناس، دفعاً للحرص والأذى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَيْكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَفْسِنِينَ لِحَدِيثٍ ؕ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيءُ مِنْكُمْ ؕ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيءُ مِنَ الْحَقِّ ؕ ﴾ (٢)

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: « بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَرِيذٌ بِنْتُ جَحْشٍ بِخَبْرِ وَلَحْمٍ، فَأُرْسِلَتْ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا، فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُمَّ

(١) رواه البخاري.

(٢) الأحزاب : من الآية ٥٣.

يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ. قَالَ: ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ، وَبَقِيَ ثَلَاثَةٌ رَهَطٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَنْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ. فَتَقَرَّرَى حُجْرَةَ نِسَائِهِ كُلَّهِنَّ يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقْلُنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا ثَلَاثَةٌ مِنْ رَهَطٍ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَدِيدَ الْحَيَاءِ، فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَمَا أَذْرِي آخِبْتُهُ أَوْ أُخْبِرَ أَنْ الْقَوْمَ خَرَجُوا، فَرَجَعَ حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أَسْكَفَةِ الْبَابِ ذَاخِلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً، أَرَحَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأَنْزَلَتْ آيَةَ الْحِجَابِ» (١)

ومحصل القصة - كما قال ابن حجر - أن الذين حضروا الوليمة جلسوا يتحدثون ، واستحيا النبي ﷺ أن يأمرهم بالخروج ، فتهيأ للقيام ؛ ليفتننوا لمراده فيقوموا بقيامه ، فلما ألهاهم الحديثُ عن ذلك قام وخرج فخرجوا بخروجه، إلا الثلاثة الذين لم يفتنوا لذلك ؛ لشدة شغلِ بالهم بما كانوا فيه من الحديث، وفي غضون ذلك كان النبي ﷺ يريد أن يقوموا من غير مواجهتهم بالأمر بالخروج ؛ لشدة حيائه، فيطيل الغيبة عنهم بالتشاغل بالسلام على نساءه، وهم في شغل بالهم، وكان أحدهم في أثناء ذلك أفاق من غفلته وبقي الإثنين، فلما طال ذلك ووصل النبي ﷺ منزله، فرآياه لما رجع ، فحينئذ فطنا فخرجوا، فدخل النبي ﷺ وأنزلت الآية، فأرعى السِّتْرَ بينه وبين أنس ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَأَلَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنْ

(١) رواد البخاري.

## كان خلقه القرآن

أَلْحَقَّ ﴿١﴾<sup>(١)</sup>، كانوا يجلسون فيحدثون طويلاً، وكان ذلك يؤذي النبي ﷺ ويستحيي أن يقول لهم: قوموا. فعلمهم الله الأدب ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يترك أن يبين لهم ما هو الحق.

نسأل الله أن يُؤدِّبَنَا بأدب القرآن ؛ حتى نتخلَّق بِخُلُقِ الرَّسُولِ ﷺ.



(١) الأحزاب : من الآية ٥٣.